مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
المجلد الثالث - العدد التاسع عشر - التاريخ - شباط / 2022 م
doi.org/10.52866/esj.2022.03.19.08

خدمات البريد العام
في الدولة العربية الاسلامية

أ.م.د. صهيب محمد ناصر
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ

مستخلص:

يقاس تطور الدول والمجتمعات بتطور نظمها الإدارية. وعند الكلام عن الدولة العربية الإسلامية نجدها وضعت اسسًا وقواعد رصينة مستندة بذلك على قواعد التشريع المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذه النظم نظام البريد الذي شهد منذ صدر الإسلام تطورًا ملحوظًا، للحاجة الملحة للتواصل بين اقاليم الدولة، وبعد أن كان مقتصرًا بصفته الرسمية، أصبح يخدم أفراد المجتمع بصورة عامة في نقل رسائلهم وحاجياتهم من مكان إلى آخر، متخذًا طرقًا مختلفة، بالإضافة إلى مساهمته بشكل كبير في تسهيل المعاملات التجارية بين أقاليم الدولة.

الكلمات المفتاحية: خدمات ، البريد، نظام ، الفيج.

General postal services in the Arab Islamic state

Assis. prof. Dr. Sohaib Muhammad Nassir
Iraqi University / College of Education - History Department

Abstract :

The development of countries and societies is measured by the development of their administrative systems. When we talk about the Arab Islamic state, we find that it has laid solid foundations and rules based on the rules of legislation inspired by the Holy Qur'an and the purified Sunnah of the Prophet. Among these systems is the postal system, which has witnessed since the beginning of Islam a remarkable development due to the urgent need for communication between the regions of the state. And after it was limited to its official capacity, it now serves the members of society in general in conveying their messages and needs from one place to another, taking different methods, in addition to contributing significantly to facilitating commercial transactions between the regions of the state.

Keywords: services, mail, system, Fij .

المقدمة :

يعتبر البريد من النظم الإسلامية المهمة، وتأتي أهميته في انها وسيلة استطلاع الاخبار، ووسيلة اتصال ما بين اجزاء الدولة الاسلامية، كما يظهر نظام البريد مدى ارتقاء امتنا الاسلامية في الجوانب الحضارية، خاصة بعد التطور الذي حصل نتيجة توسع رقعة الاسلام، وزيادة الفتوحات، التي أدت إلى كثرة الحاجة إلى حركة المراسلات بين اقاليم الدولة، وهذا ما تناولته في بحثي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومحورين خصص المحور الأول في تعريف البريد لغة واصطلاحًا، وخدمات البريد، وموظفي البريد، وأجور البريد، اما المحور الثاني، فقد تناولت فيه البريد في العصور الإسلامية، حيث تطرقت إلى البريد العام في عصر الرسول ﷺ، ومن ثم البريد في العصر الراشدي، والبريد في العصر الأموي، وأخيرًا البريد في العصر العباسي، وانتهينا بخاتمة وأهم الاستنتاجات، واضعين بعدها ثبتًا لأهم المصادر والمراجع.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في معالجته لموضوعة لم يتم معالجتها في كتب التاريخ الا باشارات قليلة لا تتناسب واهميته، والذي كان له دور بارز في سد ثغرة اجتماعية كان الناس بحاجة اليها بعدما كان البريد مقتصرًا على البريد الرسمي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ابراز جانب مشرق من الجوانب الحضارية في الدولة العربية الإسلامية ويعكس ما وصلت اليه النظم الادارية من رقي ينسجم ومقتضيات المصلحة العامة للدولة.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابتي للبحث على المنهج الوصفي في جمع الروايات، ومن ثم تحليل تلك الروايات من خلال جمع القرائن.

خطة البحث:

تناول البحث التعريف اللغوي والاصطلاحي للبريد، وكيف تطورت اختصاصاته مع تطور وتوسع الدولة واحتياجاتها، ثم عرجنا إلى ذكر موظفي البريد ومهامهم والاجور التي يتقاضونها لقاء خدماتهم، بعد ذلك اعطينا امثلة عن كل عصر من العصور الإسلامية وانتهينا بخاتمة شملت أهم النتائج، واضعين بعدها قائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة في بحثنا.

التعريف بالبريد

البريد لغةً: البريد جاء من الفعل ابرد[1]، واذا قلنا ابرد البريد القصد منه ارسله[2].

والبريد ما بين كل منزلين وهو فرسخان والبريد الرسل على دواب البريد والجمع برّد وبرد بريدًا ارسله[3]().

البريد اصطلاحًا: هو ان يجعل خيل مضمرات في عدة اماكن[4]، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان وقد تعب فرسه ركب غيره فرسًا مستريحًا، فاذا وصل إلى المكان الاخر ركب غيره فرسًا وهكذا حتى يصل البريد إلى المكان المقصود[5].

وكانت المهمة الرئيسة والاولى للبريد هي نقل الاخبار والرسائل بين العاصمة والولايات، او بين

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، ص86.

(2) الرازي، محمد بن ابي بكر (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1982، ص47.

(3) البستاني، فؤاد افرام، منجد الطلاب، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ص29-28.

(4) حسن، ابراهيم حسن، وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص211.

(5) الرفاعي، انور، النظم الاسلامية، دار الفكر، بيروت، 2001، ص91.

الولايات، والظاهر انه كان ينقل ايضًا بعض الحاجيات والمواد العينية والنقدية ايضًا[1] وهذا هو تعريف البريد العام حيث لا يتناول نقل الاخبار التي تتعلق بالجوانب السياسية او العسكرية فقط وانما اتسع ليشمل الجوانب العامة من حياة الناس وخاصة الاجتماعية منها، والتجارية.

وكان البريد اسم للمسافة التي بين كل محطة واخرى من محطات البريد ثم اطلقت على حامل الرسائل واطلقت بعد ذلك على كيس البريد[2].

ومما يبدو ان البريد كان مقصورًا على اغراض الدولة، ثم ابيح فيما بعد للرعية ليستفيدوا منه في نقل رسائلهم[3].

وكان للرسول اهمية كبيرة في حمل البريد وبالرسول يستدل على حال المرسل فقال بعض الحكماء اذا غاب عنكم حال الرجال ولم تعلموا مقدار عقله فانظروا إلى كتابه ورسوله فهما شاهدان لايكذبان ويجب ان يكون في الرسول خصال منها العقل ليميز به الامر المستقيم من المعوج والامانة والعفاف لئلا يخون مرسله فكم من رسول برقت له بارقة طمع من جهة من ارسل اليه فحفظ جانبه وترك جانب مرسله[4].

وأول ما استعمل العرب لنقل البريد الابل، ثم استبدلوها بالبغال، ثم بالخيل لسرعتها وكانت هناك خيول توضع في المحطات لاستبدال الفرس الذي يتعب باخر مستريح ثم يواصل سفره باقل فتره ممكنة، وكان الرسل حملة البريد يسيرون مع القوافل للتنقل والاسفار، وكانوا اعظم المساعدين لادلالهم على الطرق والمسالك ما بين البلاد الواسعة[5]، واثناء توقفهم مع القوافل في المدن فترة من الزمن تعطيهم فرصة جمع رسائل اضافية[6].

وكان للطرق البحرية دور في نقل البريد التجاري التي تتعلق بمعاملات التجار عن طريق البحر، وعلى الرغم من صمت المصادر عن ذكر وجود فيوج على السفن البحرية الا انه وجدت اشارات لعديد من الرسائل التي كانت تبعث خلال الصيف عن طريق المراكب والسفن البحرية، والتي تتعلق بالاعمال التجارية بيد اصدقاء مؤتمنين من التجار وان لم يوجد احد منهم على ظهر السفينة يتولى قبطان السفينة توصيل الاخبار بنفسه، وهذا نادر مايحدث[7] كما كان البريد يرسل عن طريق الحمام الزاجل التي تحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به، ولكن استخدامه اقل من استخدام البريد البري.

موظفي البريد:

1 – **الفيج**[8]: وهي كلمة تطلق على رسول السلطان الذي يسعى على قدميه، ثم اطلق على كل من اتخذ نقل الرسائل صناعة، وبذلك اصبح التفيج صناعة

(1) الدوري، عبدالعزيز، النظم الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص170.
(2) الكتاني، محمد عبد الحي (ت: 1382هـ)، نظام الحكومه النبوية، المسمى بالتراتيب الادارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، د.ت، ص192.
(3) ادم، متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تحقيق: محمد عبدالهادي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج2، ص404.
(4) ابن طباطبا، محمد بن احمد بن محمد (ت: 322هـ)، تاريخ الدولة الاسلامية، دار صادر، بيروت، 1960، ص68.
(5) الكتاني، المصدر السابق، ص 192 – 193.
(6) الرفاعي، طلال جميل عبد العاطي، نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، اطروحة دكتوراة، جامعة ام القرى، السعودية، 1985م، ص306.
(7) جواتياين س.د، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعريب: عطية القوطي، الكويت، 1980، ص 219 – 220.
(8) الفيج: كلمة تطلق على كل من اتخذ نقل الرسائل من منطقة إلى اخرى صناعة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص350.

ويعني نقل الرسائل من بلد إلى اخر[1]، وكان للفيوج زي خاص يفرضه عليهم التخفف من حمل الرحل[2]، فكانوا يلبسون المرقعة[3] ويحملون ركوة[4] لشرابهم ويرتدون تأسومة[5] واستخدموا المخالي او المخلاة[6] لحمل الكتب التي كانت توجه معهم، وربما استخدم البعض منهم عصا للتوكأ عليها، وربما صحب احدهم كلبا معه لحمايته من مخاطر الطرق[7]، ويحملون خريطة معهم تدلهم على الطريق[8].

2- **المرتبون (السعاة):** وهم المسؤولين عن حمل الرسائل في حقائب خاصة، وقد عرّف ابن منظور السعاة من السعي وهو العدو سعى اذا عدا وسعى اذا مشى[9] وقد عُرف الساعي بصبره في السير والجري من اجل توزيع البريد والمخاطبات[10].

بينما ذكر حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن ان السعاة هم انفسهم الفيوج وعرّفوهم بانهم طائفة من موظفي البريد تخصصوا في نقل البريد[11].

3- **الركب (الركابي):** وهم في الاصل راكبي الابل خاصة ثم اتسع فاطلق على كل من ركب دابة وحمل عليها من خيل وبغال، وكان اول الامر يطلق على ركيب السعاة من يركب من عمال الزكاة، ثم توسع مفهومه حتى شمل الذين يحملون الرسائل[12].

خدمات الفيوج

1- نقل الرسائل سواء كانت رسائل شفوية او رسائل مكتوبة، ومن الأمثلة على ذلك ارسال عبدالله بن ابي بكر ما بين قريش والرسول ﷺ[13]، وكذلك ارسال عثمان بن عفان رضي الله عنه كرسول للمسلمين في صلح الحديبية إلى اهل قريش للمفاوضات من اجل اداء العمرة، وكذلك ارسال ابي سفيان مع الركب من بني عبد القيس الذاهبون إلى المدينة حيث حملهم رسالة إلى الرسول[14]، اما الرسائل المكتوبة فهناك الكثير من الرسائل التي ينقلها الفيج إلى اصحابها مثل رسالة الرسول إلى معاذ بن جبل معزيا اياه بوفاة ابن له[15]، وكذلك الرسائل التي

(1) التاسومة: ضرب من الاحذية الخفيفة المتينة وقيل انها معربة من تأسم ومعناها القدم والسير. ينظر: دي شير، الالفاظ الفارسية المعربة، مكتبه لبنان، بيروت، 1980، ص33.

(2) التنوخي، ابي علي المحسن بن علي التنوخي (ت: 384هـ)، الفرج بعدة الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ج2، ص298.

(3) الصابي، ابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون (ت:384هـ)، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: احمد عبدالستار فرج، منشورات دار احياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1985، ص44.

(4) المرقعة: نوع من الالبسة ارتدته الصوفية كانوا يستخدموه اظهاراً للزهد ثم لبسه غيرهم من الناس واصبح اسمه مرقعه ولو خلا من الرقاع ويقصد به اللباس الرخيص الثمن. ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج1، ص117.

(5) الركوة: اناء من الجلد يوضع فيه ماء الشرب كان يستخدمه الفيوج ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج1، ص117.

(6) المخالي: كيس توضع فيه الاشياء استخدم لاغراض متعددة منها حمل الكتب ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج3، ص268).

(7) التنوخي، ابو علي المحسن (ت: 384)، تشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، 1981م، ج4، ص228.

(8) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص350.

(9) ابن منظور، السان العرب، ج6، ص211.

(10) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار السافي، 2001،ج9، ص320.

(11) حسن، النظم الاسلامية، ص214.

(12) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص211.

(13) قميحة، جابر، ادب الرسايل في صدر الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص21.

(14) ابن هشام، ابي محمد عبدالملك، (ت:218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، ج4، ص474.

(15) القلقشندي، احمد بن علي بن احمد (ت:821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب السلطانية، القاهرة،

كانت قائمة ما بين عوائل وازواج الجنود المسلمين وما بين الجنود في الثغور[1] والكثير من الامثلة التي سنتطرق اليها فيما بعد.

2- نقل وارسال حاجات واشياء عينية من مكان إلى اخر كالبريد الذي كان ما بين ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب وزوج عمر بن الخطاب وما بين ملكة الروم، حيث قام الطرفان بارسال الهدايا إلى بعضهما[2] وكذلك نقل وحمل الفسيفساء إلى دمشق في زمن الوليد بن عبد الملك ونقل الثلج في زمن الحجاج بن يوسف[3].

3- نقل وارسال المواد النقدية، كارسال الرسول ﷺ بمال لأبي سفيان بن حرب يفرقه في فقراء قريش وهم مشركون ليتالفهم[4].

4- ومن خدمات البريد هي نقل الاشخاص، حيث يقوم البريد بنقل الاشخاص من منطقة إلى اخرى، كالبريد الذي قام بارساله مالك بن طوق إلى البادية كي يحملوا اليه المهنأة بنت الهيثم الشيباني ووليها كي يتزوجها[5].

5- نقل السفائج والعقود المالية إلى جانب الرسائل مما يفصح ان هذا الامر كان متداولا حيث يذكر ان بغدادي كان قد خرج من بيته واتى جسر النهروان فجلس بالقرب من بقال فاذا بفيج قد اقبل فوضع مخلاته وعصاه ثم طلب من البقال خبزاً وتمراً فاعطاه ثم فتح الفيج مخلاته وميز فيها من الكتب ان هناك كتاب لصاحب البقالة فيه سفتجة[6] بمبلغ كبير سلمت إلى الرجل بعد التاكد من هويته[7].

أجور البريد العام

اختلف في مقدار اجور نقل البريد سواء كان رسائل شفوية أو رسائل مكتوبة أو كان نقل حاجات عينية أو نقدية من عصر إلى اخر ويتوقف الاجر على بعد المنطقة المرسل اليها، فكلما زادت المسافة كلما زاد الاجر، وخاصة وان الدولة العربية الاسلامية ومن خلال الفتوحات العربية قد توسعت وضمت اقاليم بعيدة عن مركز الخلافة، وقد انتقل اليها المسلمون من خلال هذه الفتوحات واصبح البريد هو وسيلة الاتصال ما بين الاشخاص في داخل الدولة العربية وما بين الثغور الاسلامية والمناطق البعيدة عن المركز، ولان هذه المناطق البعيدة تستغرق جهداً من الفيج ويتطلب غذاء لدابته واحيانا بذهب صاحب البريد بمفرده لارسال الرسائل واحيانا قد تبعث مع القوافل التجارية.

ولكن على العموم لم تكن خدمات البريد غالية الثمن حيث يذكر ابن الجوزي ان اجرة الفيوج الخاص الذي ارسله اهل بغداد إلى سجستان ستة دنانير[8]. كما كان كلفة نقل الرسالة من الاسكندرية إلى القاهرة هي درهم واحد، ومن القدس إلى رام الله نصف درهم، ومن المرية في اسبانيا إلى الاسكندرية درهم ونصف، وكانت

1916م، ج9، ص83-82.

(1) علي، محمد كرد، الادارة الاسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1934م، ص30.

(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر (ت:310)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج4، ص36.

(3) الهاشمي، رحيم كاظم محمد، وعواطف محمد العزي، الحضارة العربية الاسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص48.

(4) الكتاني، التراتيب الادارية، ص290.

(5) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص362-361.

(6) السفتجة: هي كتاب صاحب المال لوكيله ان يدفع مالا قراضا يامن به من خطر الطريق ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي واخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1984م، ج2، ص164.

(7) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج3، ص268.

(8) ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اياد الدكن، 1358هـ، ج6، ص218.

تدفع هذه الاجور إلى الفيوج بعد تسلم الرسالة. وعلى الرغم من عدم وجود تحديد لاسعار نقل هذه الرسائل الا انه على ما يبدو ان الاسعار المذكورة كان متعارف عليها[1]، كما انها قابلة للمماكسة (المفاصلة)[2].

الاخطار التي يتعرض لها الفيوج

يتعرض الفيوج في بعض الاوقات للمخاطر، مثل اعتداء بعض قطاع الطرق، أو هجوم حيوان مفترس، أو غير ذلك، نظراً لمرورهم في اراضي غير مطروحة. وقد اشار إلى ذلك التنوخي عندما قال اخبرني بعض الشيوخ من اهل الجبل قال كنت مع جماعة خارجين إلى اصبهان فلما صرنا إلى بعض الطريق مررنا بخان قديم خراب ليس فيه احد واذا بصوت كلب ينبح واذا بحركة شديدة، فدخلنا الخان باجمعنا، فاذا نحن برجل من اصحابنا نعرفه من الفيوج كان معه كلب لايفارقه حيث كان، واذا بعض المبنجين قد وقع عليه وطرح في عنقه وتراً ليخنقه به فلما راي الكلب ذلك ثار إلى المبنج فخمش وجهه، وعض قفاه، فوقع مغشيا عليه، فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر وكان قد اشرف على التلف وقبضنا على المبنج[3].

وكذلك ذكر التنوخي قصة خروج سبع على اشخاص في الطريق وسحبه لاحدهم بقصد افتراسه واشار الفيج إلى ذلك بقوله «ان السبع جرني وادخلني الاحجة هزني وسحبني فانا لا اعقل ثم سمعت صوت شيئ فاذا بخنزير عظيم قد خرج فحين راه السبع تركني وقصد الخنزير، فدقه واقبل ياكله، وانا اراه ومعي بقية عقلي فلما فرغ منه خرج من الاحجة وتركني وقد جرح فخذي جراحة خفيفة، فقمت فوجدتني اطيق المشي، فاقبلت اطلب الطريق فاذا بجيف ناس وبقر وغنم وغير ذلك، ما قد صار عظاما بالية ومنها ماهو طري فانهيت إلى خرق متمعطة ومخالي للفيوج مطروحة فسولت لي نفسي تفتيش ذلك ثم وقفت على مكور[4] فاذا فيه هميان[5] وفيه الف دينار صفر فاخذتها[6].

ومن الاخطار كذلك التي يواجهها الفيوج تعرضهم إلى السجن بتهم باطلة مثلما حدث لفيج قدم من المدائن إلى بغداد فاتهم بقتل رجل فحبس الفيج إلى ان فرج عنه لبراءته[7].

البريد العام في عصر الرسول

مما تجدر الاشارة اليه ان ورود لفظة البريد في احاديث الرسول الكريم تدل على اعتياد العرب على لفظة البريد قبل البعثة النبوية ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري من اشارة إلى محطات البريد القديمة حيث ذكر ان النبي محمد ﷺ كان ينزل تحت سرحه[8] ضخمة دون الرويثة[9] عن يمين الطريق في مكان يفضي من الحمه[10] دون البريد بميلين[11] وكذلك ورد في اللفظ قول

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص220.
(2) الرفاعي، نظام البريد، ص306.
(3) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص45-44.
(4) المكور: الرحل وهو ماجعل على ظهر البعير، السرج جمعه مكاور. ينظر: غريد، الشيخ، المعجم في اللغة والنحو والصرف والاعراب والمصطلحات العلمية، بيروت، 2010م، ج6، ص199.
(5) الهميان: كيس يحصل فيه المال ويشد إلى الوسط. ينظر: غريد، المعجم ج6، ص627.
(6) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص45-44.
(7) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص300-297.
(8) سرحه: شجر كبير ينبت في نجد في السهل. ينظر: البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت: 487هـ) معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1403ه، ص124.
(9) الرويثة: ارض تقع بين مكة والمدينة . ينظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت: 626هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت ج3، ص105.
(10) الحمه: المرتفع. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج3، ص686.
(11) البخاري، محمد بن اسماعيل، (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1987، ج1، ص183.

الرسول ﷺ: «اني لا اخيس بالعهد ولا احبس البرد»[1] ومع ذلك لم يكن البريد في عهد الرسول منتظم، حيث لم تفصح المصادر إلى ذلك كدائرة لها قوانينها. فحينما جاء الاسلام كان الرسول اول من استخدم البريد، حيث انه منذ اللحظة الاولى التي غادر فيها مكة بصحبة الصديق رضي الله عنه فراراً من قريش، قد اتخذ من عبدالله بن ابي بكر وهو غلام شاب رسولاً ياتيهما باخبار قريش يوماً بيوم، اي ان عبدالله كان اول ساع للبريد في تاريخ الاسلام[2] وكذلك اتخذ الرسول من عمه العباس بن عبد المطلب حين كان قد اسلم واخفى اسلامه في مكة رسولاً يكتب له باخبار قريش[3] واتخذ الرسول ﷺ من عثمان بن عفان رسولاً بينه وبين مشركي قريش اثناء صلح الحديبية، حيث جرت مراسلات ما بين الفريقين، إلى ان تم توقيع صلح الحديبية[4] وكان إبتعاث الرسول ﷺ لعثمان بن عفان برسالة إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم بانه لم يات للحرب وانما جاء زائراً لهذا البيت ومعظما لحرمته[5].

ومما يدل على ان الرسائل او البريد لم يكن مقتصراً على الرسائل المكتوبة وانما كان يشمل أيضاً نقل الحاجات والودائع او النقود ما يذكره محمد عبد الحي الكتاني عن عبدالله بن علقمة الخزاعي عن ابيه قال بعثني النبي ﷺ بمال لابي سفيان بن حرب يفرقه في فقراء قريش وهم مشركون يتالفهم، فقدمت مكة ودفعت المال إلى ابي سفيان فجعل ابو سفيان يقول من راى ابر من هذا ولا اوصل (يعني بذلك الرسول) انا نجاهده ونطلب بدمه وهو يبعث الينا بالصلات يبرنا بها[6].

وكان هناك من الرسائل ما كان الباعث الانساني اساسه فقد ذكر القلقشندي ان الرسول قد بعث برسالة إلى معاذ بن جبل معزيا له بابن له قد مات ذكر فيها:[7]

(من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد، فعظم الله لك الاجر، والهمك الصبر، وارزقنا واياك الشكر، ثم ان انفسنا واهلينا وموالينا من مواهب الله السنيه وعوارفه المستودعه فتمتع بها إلى اجل معدود وتقبض لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر اذا اعطى، والصبر اذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهينة وعوارضه المستودعه متعك به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يامعاذ خصلتين ان يحبط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد اطعت ربك وتنجزت موعوده. عرفت ان المصيبة قد قصرت عنه واعلم ان الجزع لايرد ميتا ولا يدفع حزناً فاحسن الجزاء وتنجز الموعود وليذهب اسفك ما هو نازل بك)[8].

ومن الرسائل الاجتماعية التي تناولت مناسبات اجتماعية هي رسالة بعث بها الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة بعد ان اسلم، ان يزوجه بام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش فتنصر هناك فزوجه اياها وقام بصداقها اربعمائة دينار من عنده[9].

(1) ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، (ت: 275هـ)، سنن ابي داود، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، ج3، ص82.
(2) قميحة، ادب الرسائل، ص21.
(3) الكتاني، نظام، ص290.
(4) المعايطة، زريف مرزوق، نشاة الدواوين وتطورها في في صدر الاسلام، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الامارات العربية المتحدة، 2000م، ص175.
(5) سعداوي، نضير حسان، نظام البريد في الدولة الاسلامية، دار مصر للطباعة، مصر، 1953، ص43.
(6) الكتاني، نظام، ص308.
(7) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9،ص83-82.
(8) الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، (ت، 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، دار احياء التراث العربي، 1983م، ج2، ص156.
(9) قميحة، ادب الرسائل، ص84.

ويذكر ابن هشام بان ابي سفيان قد بعث برسالة بالوعيد للرسول مع ركب بني عبد القيس حيث مر به فقال اين تريدون؟ قالو نريد المدينة، قال ولم، قالو نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمداً رسالة ارسلكم اياها واحمل لكم غدا زبيباً بعكاظ اذا وافيتموها، قالو نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحراء الاسد فاخبروه بالذي قاله ابو سفيان فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل[1] ففي هذه الرواية يتبين لنا ان من قام بنقل الرسالة هو ركب اي مجموعة من المسافرين يركبون الابل (قافلة) تعود لابن عبدالقيس وان ابي سفيان قد وعدهم بان يعطيهم زبيباً كأجرة مقابل نقلهم لهذه الرسالة إلى الرسول محمد ﷺ مما يعني وجود اجرة مقابل نقل الرسائل وان الاجرة ليس شرط ان تكون مال وانما عيناً كالزبيب، وكذلك من الرسائل التي بعثت في عهد الرسول هي الرسالة التي ذكرها ابن هشام، انه عندما اجمع الرسول المسير إلى مكة كتب حاطب بن ابي بلتعه[2] كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله ﷺ من الامر في السير اليهم، ثم اعطا الرسالة (امراة مولاة لبعض بني عبدالمطلب وقد جعل لها جعلاً وتسلمها على ان تبلغه قريش فجعلته في راسها ثم قفلت عليه قرونها ثم خرجت به واتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، وبعث علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام فقال ادركا امراة قد كتب معها حاطب بن ابي بلتعة كتاب إلى قريش يحذرهم ما قد اجمعنا فيه، فخرجا وادركاها فاستخرجوا الكتاب)[3].

وفي هذه الرواية كان اجر توصيل هذه الرسالة واضح في كلمة جعل والجعل كما ذكره ابن منظور في لسان العرب هو جمع جعيلة او جعالة بالفتح وهو الاجر على الشيء فعلاً أو قولاً. اي ان هذه المراة قد تلقت مبلغاً أو إجراً لقاء توصيل هذه الرسالة إلى قريش، وهذا دليل على ان هناك من يتلقى الاجور لقاء توصيل الرسائل وكذلك ان نقل الرسائل لم يكن مقتصراً فقط على الرجال وانما تعداه إلى النساء.

البريد في عصر الخلفاء الراشدين

وفي عهد الخلافة الراشدة انتظم البريد واتسع نطاقه بقيام الدولة الاسلامية وخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حيث توسعت الدولة الاسلامية وامتدت رقعتها شرقاً وغرباً كما هو معروف، ومن الجدير بالذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب قد انشأ نظاماً ثابتا لنقل الرسائل سمي بالبريد، ولم يقصره على البريد الرسمي بل اباحه لافراد الشعب ولا شك ان هذا الامر قد يسر الاتصال ودفع الناس إلى كتابة الرسائل وتبادلها فازداد عددها واتسع مجالها[4].

وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب على التقيد بمواعيد سفر البريد وطبقا لهذا كتب إلى عماله في الاقاليم والولايات والاجناد يأمرهم بالاعلان للناس عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة كي يكتب من يشاء اليه حتى انه كتب إلى عامله بالبصرة كتابا لمكتب الرسول عنده يقول فيه ان بريد المسلمين يريد ان يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب فكتب نصر بن حجاج[5] (وكان امير المؤمنين قد ابعده عن المدينة إلى البصرة)

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص474.
(2) حاطب بن ابي بلتعه: هو عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي المكي كان تاجراً في الطعام له عبيد وكان من الرماة الموصوفين. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج3، ص365.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص39.
(4) المعايطة، نشأة الدواوين، ص31.
(5) نصر بن حجاج: شاعر كانت لابيه صحبة ودار بدمشق وكان له مخاصمة عند معاوية بمكة. ينظر: ابن عساكر ابو القاسم علي بن الحسن، (ت: 571هـ)، تاريخ دمشق، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1987م، ج62، ص18.

كتابا دسه إلى صاحب المكتب إلى امير المؤمنين[1].

وهذه دلالة لوجودة عدة مراكز للبريد في الولايات والاقاليم وان البريد كان يستخدم احيانا لنقل الرسائل الخاصة مع انه بريد دولة لكنه يستخدم لنقل الرسائل ما بين الناس اضافة إلى دوره في نقل اخبار الدولة وفي الرقابة.

ويروى ان الخليفة عمر كان يهتم بالبريد العام ما بين عوائل الجنود في المدينة وما بين ميادين القتال في الثغور فكان اذا قدم الرسول بالرسائل من الثغور يتبعه بنفسه إلى منازل المقاتلين فيعطي نساءهم كتبهم ويقول لهن ازواجكن في سبيل الله وانتن في بلد رسول الله، اذا كان عندكن من يقرأ والا فاقربن الابواب حتى اقراء الكتب ثم يقول لهن ان البريد يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن[2] نلاحظ ان البريد هنا كان بريد دولة ومع ذلك استخدم للمصالح العامة للمواطنين حيث ينقل رسائل المقاتلين إلى عوائلهم وبالعكس وبدون مقابل.

ويذكر كذلك ابن عبد ربه رسالة كتبها سعد بن ابي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب في بنيان يبنيه له فوقع الخليفة في اسفل الكتاب بـ «ابن ما يكنك من الهواجر واذى المطر»[3].

من خلال هذه الرواية نجد ان البريد لم يقتصر على الكتابة في امور الدولة العسكرية او السياسية فقط وانما تناول امور الحياة العامة وان كان البريد ما بين خليفة وقائد من قواد المسلمين.

وبعد اتمام فتح الشام جرت بين الخليفة عمر وملك الروم مكاتبات ودادية بينهما، وان ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب وزوج عمر بن الخطاب[4] «بعثت إلى ملكة الروم بطيب ومشارب واحفاش من احفاش النساء ودسته إلى البريد فابلغه لها وجاءت امراءة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امراءة ملك العرب وكاتبتها وكافأتها واهدت لها وفيما اهدت لها عقداً فاخراً فلما انتهى به البريد اليه امره باءمساكه» وامر الخليفة عمر بالاجتماع ودعا إلى صلاة جامعة فاجتمعوا وصلوا ركعتين وشاورهم وقال «لاخير في امر ابرم في غير شورى من اموري...» وقال الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم» فامر بردها إلى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها»[5].

من هنا يتضح ان البريد الخاص بالدولة يختلف عن البريد العام حتى وان كانوا من اهل الخلفاء او الوزراء او من طبقات الدولة لذلك ترى ان الخليفة عمر بن الخطاب قد رد الهدية التي حصلت عليها وارسلت من ملكة الروم إلى ام كلثوم إلى بيت المال لانها جاءت عن طريق البريد الخاص بالدولة.

البريد العام في العصر الاموي

وفي العصر الاموي تطور البريد في ايام الخليفة معاوية ووضعت له النظم الخاصة به. ويعد معاوية اول من وضع نظام البريد المتطور والمخصص لاغراض الدولة والخلافة، وابيح للرعية لنقل رسائلهم وان ينتفعوا منه، فكان البريد احياناً ينقل رسائل الناس إلى ولاة الامور، فيروى عن عامل المدينة انه اذا اراد ان يبعث البريد إلى الخليفة، امر مناديه فينادي من له حاجة فليكتب إلى امير المؤمنين[6] ولم يقتصر ارسال الرسائل داخل البلد الواحد وانما من بلد إلى اخر، او من المركز إلى الثغور، كما ان البريد لايقتصر على نقل الرسائل فقط بل كان ينقل حاجيات والمواد التموينية والعينية

(1) المعايطة، نشأة الدواوين، ص176.
(2) علي، الادارة الاسلامية، ص30.
(3) ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت: 328هـ)، العقد الفريد، تحقيق: عبدالحميد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج4، ص287.
(4) الكتاني، التراتيب الادارية، ص308.
(5) الطبري، تاريخ ، ج4، ص360.
(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص335.

والنقدية[1].

وكان البريد ينقل بعض المواد المشاريعية العمرانية، فقيل ان الوليد بن عبدالملك استخدم البريد في حمل الفسيفساء والفصوص المذهبة إلى دمشق ليصفح بها حيطان المسجد الجامع بدمشق ومساجد مكة والمدينة والقدس. وكذلك روي عن الحجاج بن يوسف ان صاحب بريده حمل اليه الثلج[2].

ومن طرق نقل البريد بالاضافة إلى ما ذكر، عن طريق الحمام الزاجل، فيذكر رؤساء الناس في العراق قد تنافسوا في اقتناء الحمام الزاجل حتى بلغ ثمن الطائر الواحد سبعمائة دينار اي ان الناس لم يقتصروا على البريد البري وانما استخدموا الجوي عن طريق الحمام الزاجل لسرعة وصول البريد من خلاله[3].

ويذكر كذلك ان البريد كان يستخدم لحمل الناس إلى الخليفة والامير التماساً لسرعة قدومهم[4] ومن الامثلة على حمل الناس في البريد هي قصة زواج مالك بن طوف من المهنأة بنت الهيثم الشيباني بعد ان سمع عن جمالها وفصاحتها وادبها وشعرها فارسل الرسل إلى البادية ممن يثق بعقولهم وامانتهم حتى ظفروا بها وحملوها ووليها اليه فتزوجها ومن ثم قام بانفاذ الامول وتخوث ثياب مشدودة منه ومن زوجته المهنأة إلى من ادله عليها[5].

(1) الصلابي، علي محمد، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، 2008م، ص222. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ص273.

(2) الهاشمي، الحضارة العربية، ص48 . الدوري، عبدالعزيز، النظم الاسلامية، ص170.

(3) حسن، الحاج حسين، النظم الاسلامية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص249.

(4) الرفاعي، النظم الاسلامية، ص96.

(5) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص 361 – 362.

ومن النماذج عن البريد في الدولة الاموية ان الوليد بن يزيد طلق امراته سعدى فلما تزوجت اشتد عليه ذلك وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له: اتبلغ سعدى عني رسالة ولك مني خمسة الالف درهم فقال: عجلها فامر له بها فلما قبضها قال: هات رسالتك فانشده:

اسعدى ما اليك لنا سبيل

ولا حتى القيامة من تلاق؟

بلى ولعل دهراً ان يؤاتي

بموت من حليلك أو فراق

فاتاها فاستاذن فدخل عليها فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا اشعب فقال ياسيدتي انه جعل لي خمسة آلاف درهم، قالت والله لاعاقبنك او لتبلغن اليه ما اقول لك، قال: سيدتي اجعلي لي شيئاً قالت لك بساطي هذا، قال قومي عنه فقامت والقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك، فقالت انشده

اتبكي على سعدى وانت تركتها

فقد ذهبت سعدى فما انت صانع

فلما ابلغه وانشده الشعر سقط في يده واخذته كظمة....)[6]

من هذه الرواية يتضح لنا ما قلناه سابقاً بان البريد قد يكون الذي ينقله يتلقى مبلغا من المال لقاء عمله او قد يكون مادة عينية وليست نقدية فنرى في هذه الرواية ان المقابل في المرة الاولى هو مبلغ من المال قدره خمسه الاف درهم، وفي المرة الثانية عبارة عن بساط، والامر الثاني الذي يتبين لنا في هذه الرواية ان الرسالة لم تكن تحريرية او مكتوبة بل هي عبارة شفوية وهي ابيات من الشعر.

كان الناس يتكاتبون في شؤونهم الشخصية في التهاني والتعازي والشكوى والعتاب والاعتذار

(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص 133 – 134.

والفخر والثناء. ومن امثلة رسائل الشكوى رسالة بعثها انس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان يستجير به من الحجاج، فقد اتهم الحجاج انس بن مالك بمهالاة ابن الاشعث فاساء معاملته واغلظ له، فكتب انس بن مالك لعبد الملك كتابا يخبره فيه «لو ان رجلاً خدم عيسى بن مريم او راه او صحبه تعرفه النصارى او تعرف مكانه لها جرت اليه ملوكهم ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ولعرفوا له ذلك ولو ان رجلاً خدم موسى او راه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة ما استطاعوا، واني خادم رسول الله ﷺ ومصاحبه، واكلت معه ودخلت وخرجت وجاهدت معه اعداءه، وان الحجاج قد اضر بي وفعل وفعل»[1]. وفي هذه الرواية التي يذكرها ابن كثير يتضح ان الرسائل التي كان يتلقاها الخليفة ليست مقتصرة على الامور السياسية او العسكرية او الاقتصادية للدولة وانما تعدتها إلى شرح مظالم الناس ومعاناتهم والامور الخاصة بهم لغرض ايصالها إلى الخليفة وايجاد الحلول لها.

ومن رسائل التهنئة ما ذكره القلقشندي في رسالة بعثها احد الشعراء إلى بعض اصحابه وقد ولد له توأم ذكر وانثى من جاريه سوداء

وخصك رب العرش منها بتوأم

ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر

وابرك أضحى وارثا علم جابر

فاعطاك من القابه الشمس والقمر[2]()

ومما ذكر ان رؤساء واشراف الكوفة كانوا يرسلون الكتب والرسائل إلى الحسين ﷺ. فذكر الدينوري: (وكان هؤلاء الرؤساء من اهل الكوفة. فتتابعت عليه رسل اهل الكوفة ومن الكتب ما ملأ منه خرجين)[3] وهذا يثبت بان عدد كبير من الناس تكتب الرسايل وترسلها عن طريق الفيوج إلى المرسل اليه.

وكذلك يذكر ان مسلم بن عقيل قد ارسله الحسين من المدينة إلى الكوفة وعند ذهابه واثناء الطريق تاه مع الدليلين واشتد عليهم العطش والحر فانقطعا فلم يستطيعا المشي، (حتى افضوا إلى طريق فلزموه حتى وردوا الماء فاقام مسلم بذلك الماء وكتب إلى الحسين مع رسول استاجره من اهل ذلك الماء يخبره خبره وخبر الدليلين وما ناله من الجهد) فوصل الرسول مع الكتاب إلى الحسين فقرأه وكتب له جوابه[4]. من هذه الرواية يتبين لنا ان هناك اجراً قد تلقاه الشخص الذي اوصل الرسالة من مسلم بن عقيل إلى الحسين لان مسلم ارسل رسالة مع شخص قد استاجره مثل ما مذكور في الرواية.

وكان الولاة عن طريق بريد الدولة يطلبون بعض الامور الشخصية، مثل ما فعل الحجاج حيث كتب إلى عامله في فارس يطلب منه عسلاً[5]، ومن البريد ما كان ارسله الخليفة الوليد بن عبدالملك بان يقوم صاحب خراج مصر من ابتياع فلفلاً بعشرين ألف دينار من موسى بن وردان[6] ليهديه إلى صاحب الروم[7].

وكان البريد في عهد عمر بن عبدالعزيز ياخذ اي كتاب من اي شخص ينقله لاي ولاية، فكانت الرسائل

(1) ابن كثير، اسماعيل (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: احمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، 1992م، ج8، ص65.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص63.

(3) ابو حنيفة احمد بن داود، (ت: 282هـ)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعه: جمال الدين الشبال، دار احياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960م، ص229.

(4) المصدر السابق، ص230.

(5) الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، (ت: 255هـ)، البيان والتبين، تحقيق: عبدالله محمد هارون، مكتبه الخانجي، القاهرة، 1998م، ج2، ص103.

(6) موسى بن وردان: هو الامام الواعظ ابو عمر العامري المصري القاص. ينظر: الذهبي سير اعلام النبلاء، ج5، ص107.

(7) الكتاني، التراتيب الادارية، ص308.

الخاصة تنقل مع بريد الحكومة وتسلم إلى اصحابها، ولكن ليس هناك ما يؤكد اذا ما كان هؤلاء يدفعون اجور لقاء هذه الخدمة ام لا[1].

وفي عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز ايضاً، خرج بريد من مصر فدفعت اليه احدى النساء واسمها فرتونه السوداء كتاباً إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز تذكر فيه ان لها حائطاً قصيراً وانه يقتحم عليها فيسرق دجاجها فكتب الخليفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر امير المؤمنين إلى فرتونه السوداء مولاة ذي اصبح بلغني كتابك ذكرت من قصر حائطك وانه يدخل عليك فيسرق دجاجك فقد كتبت اليك كتاباً إلى ايوب بن شرحبيل، (وكان ايوب عامله على صلاة مصر) وقد امرته ان يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين ان شاء الله والسلام»[2].

بينما يذكر بان مولى عمر بن عبدالعزيز قد حمل على بريد الدولة رجلا بغير اذن الخليفة فدعاه فقال لاتبرح حتى تقوّمه ثم تجعله في بيت المال[3].

وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز يرفض ان يستخدم بريد الدولة لنقل حاجاته او اشياء تخصه، الا اذا دفع مقابل بريده، ومثال على ذلك انه اتت عمر بن عبدالعزيز سلتا رطب من الاردن فقال: «ما هذا قالو رطب بعث به امير الاردن قال علام جيء به قالوا على دواب البريد قال فما جعلني الله احق بدواب البريد من المسلمين اخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنها في علف دواب البريد، فغمزني ابن اخيه، فقال لي اذهب فاذا قامتا على ثمن، فخذهما علي قال فخرجنا إلى السوق فبلغتا اربعة عشر درهما، فاخذتهما فجئت بهما إلى ابن اخيه فقال اذهب بهذه الواحدة إلى امير المؤمنين وحبس لنفسه واحدة، قال فاتيته بها فقال ما هذه قلت اشتراهما فلان ابن اخيك فبعث اليك بهذه وحبس لنفسه الاخرى فقال الان طاب لي اكله»[4].

بينما يذكر ابن الجوزي بريد سلتا الرطب التي جاءت لعمر بن عبد العزيز بأنهما قد اتى بهما على البريد الخاص بالدولة، فقام عمر بن عبدالعزيز بوضع ثمنها في بيت المال ثم اخذهما[5].

وكذلك يذكر عن عمر بن عبدالعزيز انه كان يعجبه ان يتأدم بالعسل فطلب من اهله يوماً عسلاً فلم يكن عنده فاتوه بعد ذلك بعسل فاكل منه فاعجبه، فقال لاهله من اين لكم هذا قالت امراته بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد فاشتراه لي، فقال اقسمت عليك لما اتيتني به فأتته بعكة فيها عسل فباعها بثمن يزيد ورد عليها راس المال والقى بقيمته في بيت مال المسلمين[6].

البريد العام في العصر العباسي

اهتم العباسيون بالبريد اهتماماً كبيراً واعتنوا به وادخل عليه ضرباً من التحسين وخاصة في عهد المهدي، الذي اقام عدة اجراءات ساعدت على ازدهار البريد، حيث اقام البريد بين مكة والمدينة وكان اول من وضع ذلك، وقد استعمل في نقل البريد البغال والابل وقام المهدي ببناء المحطات والقصور في طريق مكة وحفر الركايا[7] مع المصانع وامر بالزيادة في قصور ابي العباس[8].

---

(1) المعايطة، نشاة الدواوين، ص182.

(2) ابن عبدالحكم، عبدالله بن اعين بن ليث بن رافع المصري، (ت: 214هـ)، سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: احمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1984م، ص62.

(3) المعايطه، نشاه الدواوين، ص183.

(4) ابن عبد الحكم، سيره عمر، ص53.

(5) ابن الجوزي، سيرة عمر، ص158.

(6) المصدر نفسه، ص159.

(7) الطبري، تاريخ، ج9،ص338.

(8) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص132.

وهذه الاجراءات التي اتخذها العباسيون قد زادت من نشاط البريد العام حيث ان هذه الاجراءات لم تساعد فقط بريد الدولة وانما كان له اثار جيدة على البريد العام، حيث سهلت وصول البريد إلى اشخاص بعيدين عن مناطق سكناهم وكذلك سهلت الاتصال ما بين العامة او ما بين العامة والخليفة او ما بين الخليفة وخاصته، ومن الامثلة على البريد في العصر العباسي هي الرسائل التي كان يبعثها عامة الجمهور من اهل الانبار إلى الخليفة العباسي ابا العباس السفاح يذكرون فيها ان منازلهم قد اخذت منهم وادخلت في البناء الذي امر به ولم يعطوا اثمانها، فوقع الخليفة «هذا بناء اسس على غير التقوى» ثم امر بدفع قيم منازلهم اليهم[1] ومن الامثلة على البريد بين الاصدقاء هي رسالة كتبها الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له يستدعيه فيها ويقول «نحن في مأذبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسناً، قد باتت السماء تكللها فهي شرقة بمائها حالية بنورها فبادر الينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض، فكتب اليه صديقه هذه صفة لو كانت في اقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها، فكيف في موضع انت تسكنه وتجمع إلى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك»[2].

ويذكر المقدسي انه في سنة 298هـ مر ركابي في بستان على نهر عيسى فاجتاز بصاحب البستان ووقف في ظل شجرة فتقدم اليه صاحب البستان وقدم له ما يأكله، ويقول صاحب البستان «لانني رايته والجوع غالب عليه فأكل ثم نام فأخذت الكيس الذي فيه كتبه فاذا فيه كتاب التجار من الرقة إلى اصدقائهم ببغداد ومعارفهم يأمرونهم بشراء كل زيت بغداد، ويخبرونهم انه معدوم عنهم» فيقول صاحب البستان انه حال قراءته للكتاب «فبادرت وامرت وكلائي بابتياع ما يقدرون عليه من الزيت، فابتيع إلى اخر النهار بعشرة آلاف دينار وكنت قد وعدت الركابي بدينارين ان اقام ليلته عندي، ولم اعرفه السبب فلم يبت ببغداد زيت لغيري فلما اصبحت سرحت الركابي وانتشر الذين وصلت الكتب اليهم في طلب الزيت فلم يجدوه فأربحوني في كل درهم درهما[3].

وتثبت هذه الرواية انه كان هناك اشخاص يقومون بنقل الرسائل والكتب من مدينة إلى اخرى، يطلق عليه الركابي، يقوم بتوصيل الرسائل والكتب مقابل اجور يتقاضاها. اي ان الذين يوصلون الرسائل لايقتصر تسميتهم على الفيوج وانما الركابي ايضاً، وقد يكون للتسميتين معنى واحد.

وهناك رواية يذكرها التنوخي عن صاحب البريد (الفيج) وفيها ان احد الفيوج قد ظلم وحبس في المدائن اثناء تنقله وارساله للرسائل وهذا نص الرواية:

انه كان ابن ابي عون صاحب الشرطة قد وعد محبرة انه يجيئه للاقامه عنده في يوم الثلاثاء فابطأ عليه وتعلق قلب محبرة بتاخره فبعث غلامًا له يطلبه ويعرف خبره في تاخره.

فعاد إلى محبره وقال وجدته في مجلس الشرطة، يضرب رجلا بالسياط وذكر انه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء ابن ابي عون فقال له ابو جعفر افسدت صبوحنا وشغلت قلبي بتأخرك فما سبب ذلك؟ فقال اني رايت البارحة في منامي كأني بكرت بليل لأجيك وليس بين يدي الا غلام واحد فسرت في خراب اسحاق بن مصعب (وهو امير بغداد) لاجئ إلى رحبة الجسر فإني لاسير في القمر اذ رايت شيخاً بهيا نضيف الثوب على راسه قلنسوة لاطبة وفي يده عكاز فسلم عليَّ، وقال اني ارشدك إلى ما فيه مثوبة في حبسك فيج مظلوم وافي من

(1) الركايا: هو حفر حوض مستطيل او بئر. ينظر: ابن منظور، لسان الوب، ج4،ص126.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص308.

(3) المقدسي، محمد بن عبدالملك بن ابراهيم ابو الحسن الهمداني، (ت: 521هـ)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م، ص9.

المدائن، وقد اتهم انه قتل رجلاً، وهو بريء من دمه وقد ضرب وحبس وقاتل الرجل غيره، وهو في غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق العكي بالكرخ واسمه فلان بن فلان، ابعث من يأخذه فانك ستجده سكران عريان، وفي يده سكين مخضبة بالدم فأصنع ما ترى، واطلق الفيج البائس فقلت افعل، فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجد فقلت ما حدث هذه الليلة، فقالوا وجدنا هذا القتيل وهذا الفيج معه فضربناه ولم يقر، فرأيت به اثر ضرب عظيم فسألته عن خبره فقال «انا معروف بالمدائن بسلامة الطريقة ومعاشي التفيج انفذني فلان بن فلان من المدائن إلى فلان بن فلان من اهل بغداد وقت العتمة فوجدت في الطريق رجلاً مقتولاً فجزعت ولم ادر اين اخذه، فانا على حالي اذ ادركني الاعوان فظنوني قتلته، والله ما اعرفه ولا رايته قط ولقد حبسوني وضربوني فالله الله في دمي، فقلت فرج الله عنك انطلق حيث شئت ثم اخذت الرجالة ومضيت إلى طاق العكى فهجمت إلى الوسطى فاذا فيها بسكران عليه سراويل فقط وفي يده سكين مخضب بالدم فاعترف بقتله فذهبت إلى الموفق فاخبرته[1].

ومن الامثلة الأخرى ما بعثه ابراهيم بن المهدي إلى صديق له قد ارسل له هدايا مع الرسالة كتب فيها لو كانت التحفة على حساب ما يوجبه حقك لاجحف بنا ادنى حقوقك ولكنه على قدرها يخرج الوحشة ويوجب الانس وقد بعثت لك بكذا وكذا[2].

وكتب أيضاً رجل إلى الخليفة المتوكل على الله، وقد اهدى اليه بقارورة من دهن الاترج. (ان الهدية يا امير المؤمنين اذا كانت من الصغير إلى الكبير كلما لطفت ودقت كانت ابهى واحسن، واذا كانت من الكبير إلى الصغير كلما عظمت وجلت كانت انفع وادفع، وارجو ان لاتكون قصرت بي همة اصارتني اليك ولا اخرني رشاد دلني عليك)[3].

وكذلك يذكر ابن عبد ربه رسالة قد بعثتها احدى جواري المامون مع تفاحة اهدته اياها وكتبت في الرسالة: «**اني يا امير المؤمنين لما رايت تنافس الرعية في الهدايا اليك وتواثر الطافهم عليك فكرت في هدية تخف مؤنتها وتهون كلفتها ويعظم خطرها ويجل موقعها فلم اجد ما يجتمع فيه هذا النعت ويكمل فيه هذا الوصف الا التفاح فاهديت اليك**»[4].

الخاتمة والاستنتاجات

لقد استخلصت من بحثي هذا عدة نتائج:

1. ان التواصل سمة رئيسية سجى لها البشر في كل مكان وزمان.
2. ان النظام الاسلامي نظام حضاري استفاد من تجارب الامم السابقه وصقلها وطورها بما ينسجم وقواعده الشرعية.
3. ان النبي ﷺ قد اولى البريد اهمية كبيرة واختار له رجالاً يصلحون لاداء هذه المهمة.
4. اهتمام الخلفاء الراشدين والامويين والعباسين بالبريد وقيامهم بعدة اجراءات تساعد على وصول البريد باسرع وقت، مثل انشائهم وبناءهم للقصور والمحطات وبناء الابار وحفرها واهتمامهم بالجانب الامني لهذه الطرق.
5. كان هناك عدة موظفين يقومون بايصال البريد العام ومنهم الفيوج والركب والسعاة.
6. اتخاذ الفيوج من التفيج صناعة واعتمادهم على ما تدره عليهم من اجور في امور حياتهم اليومية مع ان هذه الاجور تختلف ولم تكن محددة باجر معين.

(1) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص299-297.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص314.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص314.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص318-317.

7. اعتماد الفيوج على عدة وسائل لايصال الرسائل البرية مثل استخدامهم للابل والخيل والبغال وكذلك للحمام الزاجل في ايصال الرسائل كما استخدموا السفن والمراكب البحرية.
8. ان البريد العام تناول عدة جوانب في المراسلة مثلا ما بين الاصدقاء او تناول موضوع التهنئة او بالزواج او رفع مظلمة او نقل حاجات عينية او نقدية من منطقة إلى اخرى، بالاضافة الى مساهمته في التبادلات التجارية.

قائمة بالمصادر والمراجع

- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت: 487هـ).
1. معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.
- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ).
2. الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت- لبنان، 1987م.
- التنوخي، ابي علي المحسن بن علي (ت: 384هـ).
3. الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت.
4. نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، 1981م.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ).
5. سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: محي الدين ابي الخطيب، مطبعة المؤيد، مصر.
6. المنتظم في تاريخ الملوك، والامم، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1358هـ.
- الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، (ت، 255هـ).
7. البيان والتبين، تحقيق: عبدالله محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
- ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت:275هـ).
8. سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت.
- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت: 282هـ).
9. الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعه جمال الدين الشيال، دار احياء الكتب العربي، القاهرة.
- الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين، (ت، 748هـ).
10 سير اعلام النبلاء تحقيق: حسين الاسد، دار الحديث، القاهرة، 1993م.
- الرازي، محمد بن ابي بكر (ت: 666هـ).
11. مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت 1982م.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق، (ت،1205ه).
12. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي واخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1984م.
- الصابي، ابو اسحاق ابراهيم بن هلال (ت: 384هـ).
13. الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: احمد عبدالستار فرج، منشورات دار احياء الكتب العربية، القاهرة 1985م.
- ابن طباطبا، محمد بن احمد بن محمد، (ت: 322هـ).
14. تاريخ الدولة الاسلامية، دار صادر، بيروت، 1960م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر ، (ت: 310هـ).
15. تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، 1387هـ.
- الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، (ت، 360هـ).

16. المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، دار احياء التراث العربي، 1983م.
- ابن عبد الحكم، عبدالله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث بن رافع (ت: 214هـ).
17. سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: احمد عبيده عالم الكتب، بيروت، 1984م.
- ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت:328هـ).
18. العقد الفريد، تحقيق: عبد الحميد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1983م.
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن، (ت، 571هـ).
19. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر للطباعة، 1415هـ.
- القلقشندي، الشيخ ابي العباس احمد (ت: 821هـ).
20. صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب السلطاني، القاهرة، 1916م.
- الكتاني، محمد بن عبدالحي الادريسي.
21. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، مكتبة دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت.
- ابن كثير، اسماعيل (ت:774هـ).
22. البداية والنهاية، تحقيق: احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، 1992م.
- المقدسي، محمد بن عبدالملك بن ابراهيم الهمذاني (ت:521هـ).
23. تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ).
24. لسان العرب دار صادر، بيروت.
- ابن هشام، ابي محمد بن عبد الملك، (ت: 218هـ).
25. السيرة النبوية، تحقيق: عمر بن عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله، (ت،626هـ).
26. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

المراجع:

- ادم، متز.
1. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تحقيق: محمد عبدالهادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لا.ت.
- البستاني، فؤاد أفرام.
2. منجد الطلاب، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م.
- جوايتاين س.د.
3. دراسات في التاريخ الاسلامي والنضم الاسلامية، الكويت، 1980م.
- حسن، الحاج حسين.
4. النظم الاسلامية، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990م.
- حسن، ابراهيم حسن.
5. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت.
- حسن، ابراهيم حسن، وعلي ابراهيم حسن.
6. النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الدوري، عبدالعزيز.
7. العصر العباسي الاول، مركز الدراسات الوحده العربية، بيروت .
8. النظم الاسلامية، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت، 2008م.
- دي شير.

9. الالفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت.
- الرفاعي، انور.
10. النظم الاسلامية، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001م.
- سعداوي، نضير حسان.
11. نظام البريد في الدولة الاسلامية، دار مصر للطباعة، مصر، 1953م.
- الصلابي، علي محمد.
12. الدولة الاموية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، 2008.
- طلال، جميل عبد العاطي.
13. نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، السعودية، 1985.
- علي، جواد.
14. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الساقي، 2001م.
- علي، محمد كرد.
15. الادارة الاسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة.
- غريد، الشيخ.
16. المعجم في اللغة والنحو والاعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية، بيروت، 2010م.
- قميحية، جابر.
17. ادب الرسائل في صدر الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.
- المعايطة، زريف مرزق.
18. نشاة الدواوين وتطورها في صدر الاسلام، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين - الامارات العربية المتحدة، 2000م.
- الهاشمي، رحيم كاظم محمد، وعواطف محمد العربي.
19. الحضارة العربية الاسلامية دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.